مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحسينه وتنقيشه وتحصينه وبناها على البحر المحيط الذي هناك وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى مراكش قلت وقد اختلفت الروايات في امره فمن الناس من يقول انه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ومنهم من يقول انه رجع الى مراكش كما ذكرناه وتوفي في غرة سنة خمس وتسعين وخمسماية رحمه الله تعالى وقيل في شهر ربيع الاخر في سابع عشره وقيل في غرة صفر ولم ينقل شيء من احواله بعد ذلك الى حين وفاته وكانت ولادته على ما ذكروه ليلة الاربعاء سابع شهر ربيع الاول سنة اربع وخمسين وخمسماية رحمه الله تعالى وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر يامر بالمعروف كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ويلبس الصوف ويقف للمراة والضعيف وياخذ لهم بالحق و اوصى ان يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به وسمعت عنه حكاية يليق ان نذكرها هاهنا وهي ان الامير الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص عمر والد الامير ابي زكريا يحيى بن عبد الواحد صاحب افريقية كان قد تزوج اخت الامير يعقوب المذكور فاقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة فجاءت الى بيت اخيها الامير يعقوب فتشوف الامير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه فشكا الامير عبد الواحد ذلك الى الجماعة بمراكش وهو القاضي ابو عبد الله محمد بن علي بن مروان فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ ابا محمد عبد الواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب ثم مضى على ذلك ايام ثم ان الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي في قصر الامير يعقوب بمراكش فقال له انت قاضي المسلمين وقد طلبت اهلي وما اجابني فاجتمع القاضي بالامير يعقوب وقال له ان الشيخ ابا محمد عبد الواحد يطلب اهله فسكت الامير يعقوب بمراكش فقال له انت قاضي المسلمين وقد طلب اهله مرة وهذه الثانية فسكت الامير يعقوب بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء الى خدمة الامير يعقوب فقال له يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة انا طالب اهلي وقد منعوني منهم فاجتمع القاضي بالامير وقال يا مولانا الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله فاما ان تسيرها اليه والا فاعزلني عن القضاء فسكت الامير يعقوب وقيل انه قال يا ابا عبد الله ما هذا الاجل كنتم تراشدني خادما وقال له في السر تحمل اهل الشيخ عبد الواحد اليه فحملت اليه في ذلك الوقت والنهار ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئا يكرهه واتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لاوامره وهذه حسنة تعد له وللقاضي ايضا فانه بالغ في اقامة العدل وكان الامير ابو يوسف يعقوب المذكور يتشدد في الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس وقتل في بعض الاوقات على شرب الخمر وقتل ايضا العمال الذين تشكوا الرعايا منهم وامر برفض فروع الفقه وان الفقهاء لا يفتون الا بالكتاب والسنة النبوية ولا يقلدون احدا من الائمة المجتهدين المتقدمين بل تكون احكامهم بما يؤدي اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من

الكتاب والحديث والاجماع والقياس ولقد ادركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا من البلاد وهم على ذلك الطريق مثل ابي الخطاب بن دحية واخيه ابي عمرو ومحيي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم وكان يعاقب على ترك الصلوة ويامر بالنداء في الاسواق بالمبادرة اليها فمن غفل عنها واشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا وكان قد عظم ملكه واتسعت دايرة سلطنته حتى انه لم يبق بجميع اقطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو في طاعته وداخل في ولايته الى غير ذلك من جزيرة الاندلس وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للادباء مصغيا الى المدح مثيبا عليه وله الف ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي كتابا الذي سماه صفوة الادب وديوان العرب في مختار الشعر وهو مليح مجموع قد احسن في اختياره كل الاحسان والى الامير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية وكان قد ارسل اليه السلطان صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب الاتي ذكره ان شاء الله تعالى رسولا من بني منقذ في سنة سبع وثمانين وخمسماية ليستنجده على الفرنج الواصلة من بلاد الغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بامير المومنين بل خاطبه بامير المسلمين فعز عليه ذلك ولم يجبه بما طلبه منه والرسول المذكور هو شمس الدين ابو الحرث عبد الرحمن بن نجم الدولة ابي عبد الله محمد بن مرشد وقد سبق في ترجمة عم ابيه اسامة بن منقذ نبذة تنبيه هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب الوفيات وقال توفي في سنة ستماية ومولده في شيراز سنة ثلث وعشرين وخمسماية وله نظم ونثر رجعنا الى حديث يعقوب وكان من شعراء دولته ابو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الاندلسي المرسي ولقد نظرت في ديوانه فوجدت اكثر مدايحه في الامير يعقوب المذكور فمن ذلك قوله

اتراه يترك الغزلا … وعليه شب واكتهلا
كلف بالغيد ما علقت … نفسه السلوان مذ عقلا
غير راض عن سجية من … ذاق طعم الحب ثم سلا
ايها اللوام ويحكم … ان لي عن لومكم شغلا
ثقلت عن لومكم اذني … لم يجد فيها الهوى ثقلا
تسمع النجوى وان خفيت … وهي ليست تسمع العذلا
نظرت عيني لشقوتها … نظرات وافقت اجلا
غادة لما مثلت لها … تركتني في الهوى مثلا
هي بنت الشباب فقد … صار في اجفانها كحلا
ابطل الحق الذي بيدي … سحر عينيها وما بطلا
عرضت دلا فاذ فطنت … بولوعي اعرضت خجلا
وبدا لي انها وجلت … من هنات تبعث الوجلا
حسبتني ساحرتها … اذ رات راسي قد اشتعلا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)